ريمون عوده، شخصيّة جذّابة

كلمة رئيس جامعة القدّيس يوسف في حفل تسليم شهادات الدكتوراه الفخريّة في ٣١ تشرين الأوّل (أكتوبر) ٢٠١٨.

ريمون عوده الذي يرتقي اليوم إلى درجة الدكتوراه الفخريّة، هو الممثّل الجدير لسلالةٍ من المصرفيّين وقّعوا اسم عوده على صفحات التاريخ منذ العام ١٨٣٠ عندما ورث حنّا عوده من والده وكالة لتحويل العملات في صيدا. من مكتب بسيط، جعل ريمون بنك عوده، وبمساعدة شقيقه جورج، عملاقًا على الساحة الماليّة في بيروت، عملاقًا نجح ليس على الصعيد اللّبنانيّ فحسب بل أيضًا في الشرق الأوسط. من هنا، أعطاك أحد أصدقائك، عزيزي ريمون، لقب "أسد القطاع المصرفيّ العربيّ". إنّه مصطلح رمزيّ يدلّ على قوّة الشخصيّة والشجاعة والإهتمام وخاصّةً الولاء تجاه مؤسّسة ريمون عوده وسخائه في العمل. إنّه يتمتّع بشغف وحماس لما يفعله وللأشخاص الذين يحيطون به.

أنا متأكّد من أنّ ريمون عوده إكتسب هذه القيم من سلالته العائليّة، وأيضًا من متابعة دراسته من العام ١٩٣٨ حتّى العام ١٩٤٥ في المدرسة الثانويّة التابعة لجامعة القدّيس يوسف في بيروت التي أصبحت مدرسة سيّدة الجمهور حيث لا بدّ أنّه تواجد مع ريمون نجّار. عندما قصدته في مكتبه في العام ١٩٩٥، في الفيلا البيضاء في ال"سوفيل" لألتمس منه حضوره بيننا في مدرسة الجمهور، كعضو في المجلس الماليّ للمؤسّسة، لم يتردّد في القبول، وأستشهد بكلماته، كونه في خدمة الجمهور، وهي مؤسّسة عظيمة لها ثقلها على مستقبل الشباب اللّبنانيّ، خاصّة أنّ ما كان يُطلَب منه لم يكن يتعلّق بشؤون البنك. كان يحتفظ في ذاكرته، من المدرسة، صرامة الإنضباط والقداديس شبه اليوميّة، ولكنّه يقول : "في العمق، علّمني هذا الإنضباط ذلك الذي كان يُراعى جيّدًا في العائلة."

في الواقع، يمتدّ تأثير ريمون عوده إلى ما يتخطّى القطاع المصرفيّ حيث أسّس حياته كرئيسٍ لمؤسّسة عوده، وأدار ترميم جزء من تراث لبنان وحفظه وعمل بلا كلل ولا ملل لدعم الفنّانين في الشرق الأوسط وتحسين الوصول إلى معالم الفنّ في المنطقة. ففي نفس ريمون عوده تعيش أيضًا مفارقات الفنّان الحقيقيّ، والمرمّم والبنّاء ؛ كثيرون هم الذين قاموا بزيارة متحف الصابون الذي قامت بتحديثه مؤسّسة عوده في صيدا، ونادي فقرا في كفرذبيان، وفيلا عوده في بيت الدين. يكفي زيارة المقرّ الرئيسيّ لبنك عودة في باب إدريس، وهو تحفة حقيقيّة أنجزها كيفين داش Kevin Dash، ليدرك أنّ كلّ ما لمسه ريمون عوده بيده يتحوّل إلى مكانٍ إستثنائيّ. وهو يعلّق على هذا قائلًا : "حتّى لا ننسى جذورنا".... ولكن هناك ما هو أكثر : ما حقّقه هو التعبير عن إحدى متطلّبات المهندس المعماريّ ورؤيته، فهو يعشق الحجر المرصوف بحجر آخر، ذلك الحجر الذي يكشف عن روح تاريخٍ كامل، تاريخ البيت اللّبنانيّ. إلى روح المهندس المعماريّ تنضمّ روحٌ أخرى، روح جامع اللّوحات الفنيّة لفنّانين معروفين وغير معروفين أحيانًا، ولكنّهم أصبحوا معروفين بفضل ريمون عوده. كيف لا نجعلك ترتفع إلى درجة الدكتوراه

الفخريّة، يا عزيزي ريمون، أنت الذي رفعتَ العديد من المباني وكنتَ عضوًا ناشطًا في مؤسّسة التراث اللّبنانيّ ! كيف لنا ألا نُعرب عن امتناننا لمن ساعد كثيرًا الجمعيّات الخيريّة والمئات من الطلّاب، بسريّة تامّة، ومن بينهم طلّاب جامعة القدّيس يوسف الذين استطاعوا أن يتابعوا دراستهم بفضل تبرّعات البنك وريمون عوده. بتعلّقه بقيم الماضي المرفقة برؤية نحو المستقبل، سيرافق صاحب الأعمال الخيريّة صعود مكسيم شعيا، ولم يكن بعد مشهورًا، إلى قمّة جبل "إفرست" والقمم الستّ من جبال "الهيمالايا". إنّها إحدى الطرق، بلا شكّ، لنصل إلى قمّة العالم ونزرع في أعاليه علم لبنان.

ريمون هو والد العائلة، شيرين، مديرة بنك عوده في باريس، وبيار، المنتج المسرحيّ والمدير الفنّي لأوبرا أمستردام، وبول، الفيلسوف الشهير ومؤلّف العشرات من المقالات والكتب. بشأن مسارهم يقول ريمون عودة : "لقد حقّقوا ذواتهم، كلٌ في مجاله الخاصّ، وهم ينجحون بطريقة رائعة. لقد كانوا مستشارين ومرشدين لي. علّموني حبّ الفن والرسم المعاصر."

وأخيرًا، ريمون عوده هو المتفائل الأبديّ. أتذكّر مواقفه تجاه أولئك الذين ينشرون حولهم الإضطراب والإحباط، فكان يقول : "هؤلاء لا يستحقّون لبنان". صلاته هي على النحو التالي ... "أشكر الله على جعلي أشارك في أمور تبدو صعبة ومهمّة بنظر الكثيرين. كانت جامعتي هي العالم الذي عشت فيه. أقدّر كلّ ما يتبقّى لي لأتعلّمه ... ". من الآن وصاعدًا، أصبحت جامعة القديس يوسف في بيروت جامعتك.